((اثر العامل التاريخي على الاستقرار البشري وتوزيعه المكاني في محافظة الأنبار))

د٠حسين على الراوي/كلية التربية //م٠م إبراهيم قاسم درويش

المقدمة :-

تعد دراسة الاستيطان البشري الركن الأساسي للجغرافية البشرية ، ذلك لان ظروف نشأة المستقرات البشرية وشكلها في أي منطقة يعكس مدى التفاعل بين الإنسان والبيئة إلى يعيش فيها ، من خلال قدرة الأول على استثمار الأرض التي يعيش عليها عبر تاريخه الطويل ، والعلائقية القائمة بين التوافق أو الصراع الذي يُشكل أنماطا متبايناً للأستقرار تبعاً لمعطيات الأقتران المكاني والتطور المعرفي وتراكميتهُ . وتبعاً لذلك ازداد اهتمام الباحثين بالدراسات السكانية التي تخص الاستقرار البشري وتوزيعهم بهدف الكشف عن واقع التوزيع الحالي و المراحل التاريخية التي مر بها سعياً للوصول به الى الأمثل الذي يحقق كفاءة الأستثمار الموارد وبالتالي تحقيق الأمن والرفاهية .

ومحافظة الانبار إحدى المناطق الجغرافية الرئيسة في القطر العراقي تمثل حالة اللاتكافئ في حجمها السكاني وتوزيع مستوطناتها وما تملكه من موارد ، فمع انها تشغل مساحة (١٣٧٧٢٣كم) عام ١٩٧٧ و (١٣٧٨٠٨ كم) عامي ١٩٨٧ و ١٩٩٧ أي بنسبة (٣١.٥ %) من مجموع مساحة القطر العراقي ، الا ان رصيدها السكاني كان منخفضاً جداً اذ بلغت (٣.٨٨ % و ٥.١ و ٤.٧ %) من مجموع سكان القطر العراقي للسنوات ١٩٧٧ و ١٩٨٧ و ١٩٩٧ وبأعداد مطلقة بلغت (٤٦٦٠٥٩ و ٨٢٠٦٩٦٠ و ١٠٢٣٧٣٦) على التوالي .

ولعل هذا ما حفز لاختيار المنطقة كنموذج لاحدى اقاليم الاستقرار البشري القديمة في العراق من خلال تتبع سير اتجاهات السكان للأستقرار فيه واثر المتغيرات التاريخية في ذلك . مرتكزاً على اساس فرضي انهُ ، على الرغم مما شهدتهُ المحافظة من تطورات اقتصادية واجتماعية فأن الاستقرار ظل مرتبطاً بالمتغيرات التأريخية .

ولغرض الاحاطة بجوانب هذه (الدراسة) فقد قسمت الى ثلاثة مباحث رئيسة هي :-

١. اثر الموقع الجغرافي على الاستقرار البشري في منطقة الدراسة .
٢. اثر العوامل التاريخية في نشأة وتطور المستقرات البشرية في المحافظة .
٣. تفاعل العوامل التاريخية في تشكيل صورة الانماط المكانية للمستقرات البشرية في منطقة الدراسة .

أولاً : اثر المواقع الجغرافي في الاستقرار البشري في منطقة الدراسة :-

تقع محافظة الانبار في الجزء الغربي الأوسط من القطر ، إذ تحيط بها محافظات نينوى وصلاح الدين وبغداد وبابل وكربلاء والنجف من الشمال والشرق والجنوب الشرقي . وكلٌ من

الجمهورية العربية السورية والمملكة الأردنية الهاشمية والمملكة العربية السعودية من الغرب والشمال الغربي والجنوب الغربي .

اما موقعها الفلكي فأنها تقع بين دائرتي عرض (٤ ، ٣١ ° ، ٦ ، ٣٥ شمالاً) وخطي طول (٣٩ ، ٤٤ شرقاً) خارطة رقم (١) وبطبيعة الحال فان هذا المواقع ترك اثره على مناخ المحافظة من

خارطة رقم (١)

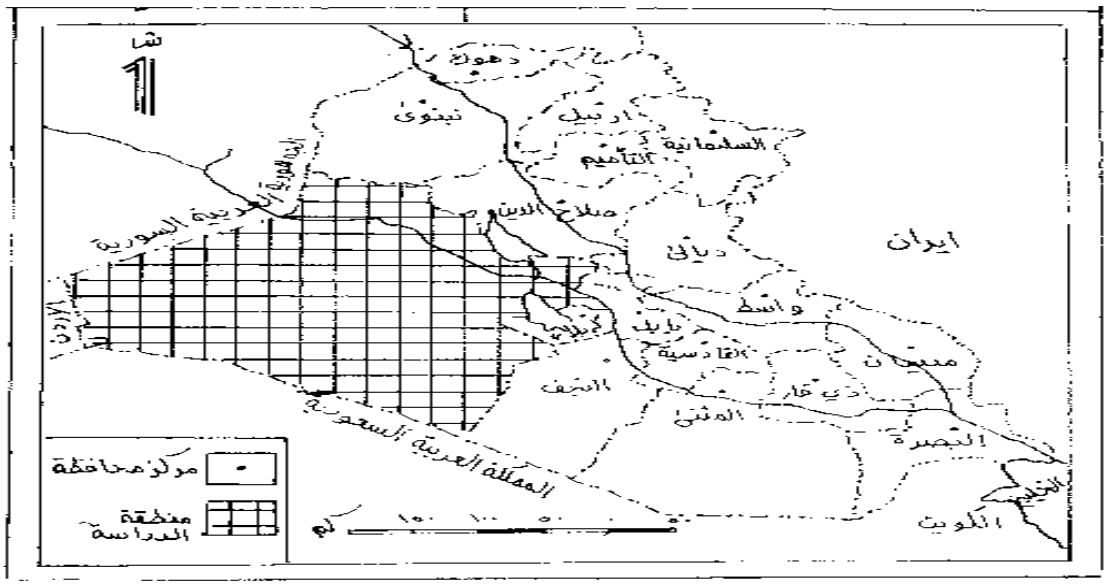

موقع محافظة الأنبار بالنسبة للقطر العراقي

المصدر :- الهيئة العامة للمساحة ، خارطة جمهورية العراق الإدارية ، ١٩٩٨ ،

مقياس ١ / ١.٥٠٠.٠٠٠ .

خلال اكتسابه صفة الجفاف ، وزاد من اثر هذا العامل بعد المنطقة عن التاثيرات البحرية فادى بالنتيجة الى الاستقرار السكان وتوزيعهم على امتداد ضفتي نهر الفرات . ان تزامن صفة الجفاف مع طبيعة سطح غالبيته هضبة تكسيها ترب ضحلة فقيرة شكلت بأطارها العام صورة لبيئة مكانية جافة فقيرة ، الا من شريط ضيق يحاذي نهر الفرات او بعض الواحات في الصحراء ، الذي اقترن به توزيع المستقرات البشرية منذ مراحل تاريخية قديمة . وعلى الرغم من تلك الخصائص السلبية لمعطيات التركيب الطبيعي ، الا ان اهمية موقعها الستراتيجي خلال المراحل التاريخية الاولى للاستقرار في وادي الرافدين قد عوضة عن ذلك الى حد ما . من خلال موقعها في الأجزاء الغربية للعراق والمتاخمة لبلاد الشام التي توافدت عليها الهجرات التاريخية الاولى من شبه الجزيرة العربية بسبب الجفاف الذي اصابها خلال الالف التاسع قبل الميلاد ، فكانت احدى المستوطنات الرئيسة للأقوام الجزرية التي انتشرت بين (هيت وعنه) [1] ، فضلا عن وقوعها على طرق القوافل التجارية القديمة وخصوصا طريق الفرات التاريخي (بغداد – الرقة) خارطة رقم (٢) ، التي تمثل شبكة نقلية تربط اجزاء العراق الجنوبية بوسطة وشماله مع العالم الخارجي من البلاد الشام ومنطقة انتقال بين الخليج العربي والبحر المتوسط .

تشير المصادر التاريخية الى وجود محطات تجارية تتوزع على امتداد الطريق التجاري غرب نهر الفرات ، وبمسافات تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ كيلو متر ، بين محطة واخرى ، وهذا ما يوفر للقوافل التجارية والمسافريين خدمات الراحة ، التي تتطلبها الرحلة الطويلة التي انعكست في نشاة

العديد من المستقرات القائمة الى اليوم ، مثل الرب وتل اسود وهيت والوس و حديثة وعنه والرحبة (٢).

خارطة رقم(٢):-طرق القوافل التجارية المارة في منطقة الدراسة

المصدر :- د. صالح فليح حسن الهيتي ، تطور المراكز الحضرية على طريق بغداد – الرقة الفراتي في محافظة الانبار ، المؤتمر العلمي الأول لجامعة الأنبار ، ص٧ .

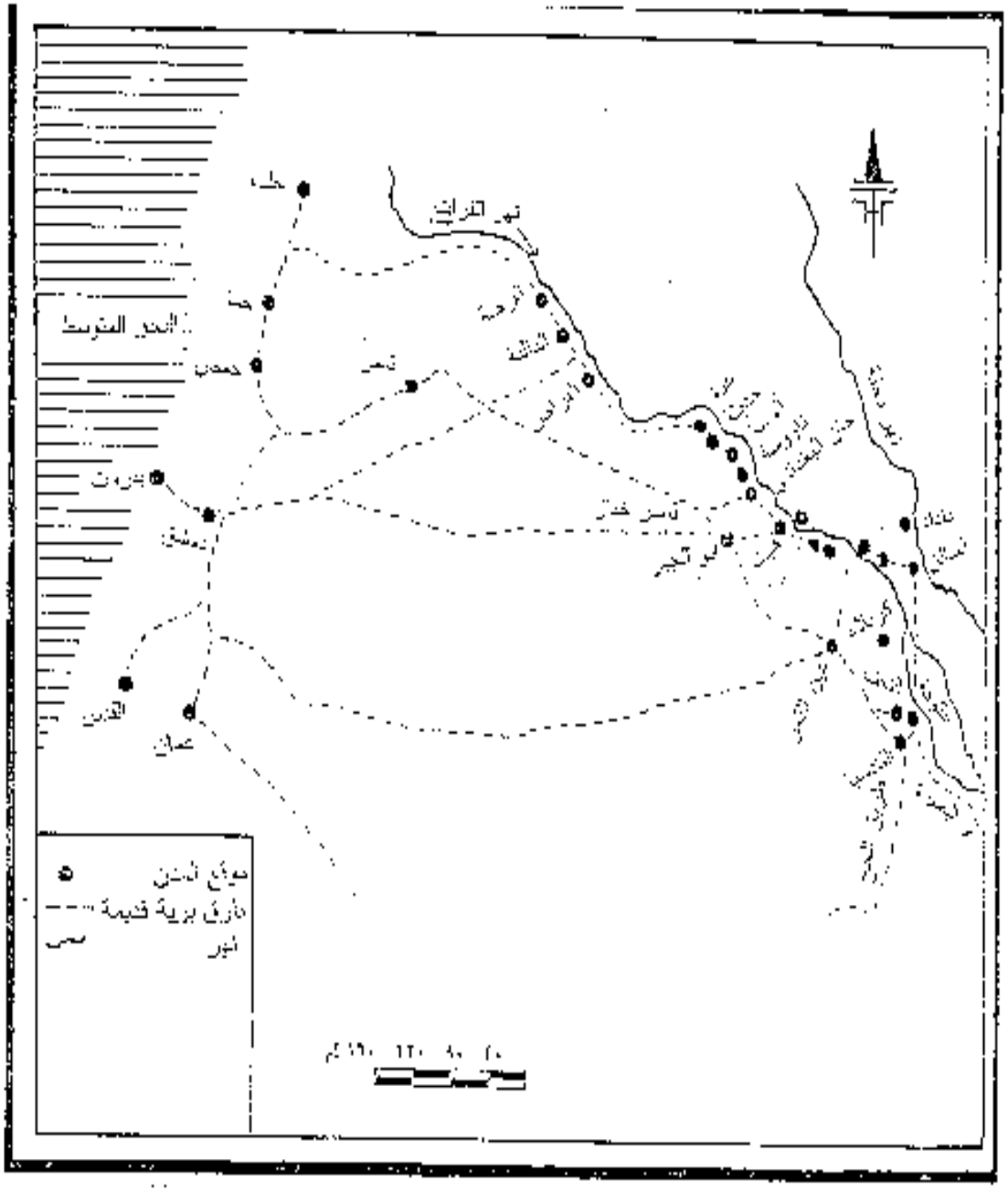

ثانياً : اثر العوامل التاريخية في نشاة وتطور المستقرات البشرية في محافظة الانبار :-

ان تحديد تاريخ واضح المعالم لبداية الأستقرار البشري في منطقة الدراسة ليس بالامر اليسر لكن مما ساعد على تجاوز هذا الصعب انه قد اجريت العديد من الحفريات الاثرية التي كشفت بكون المنطقة من بين مناطق القطر ، التي شهدت المراحل الاولى للاستقرار البشري . حيث كانت انعكاس للبيئة الطبيعية للعراق وبالتالي جغرافة حضارته وانماطها . فالحضارة السومرية التي نشأت في الاقسام الجنوبية ، تحولت الى الاقسام الوسطى من العراق ، بفعل ما إصاب مقومات بقائها متمثلة بتدهور بالانتاج الزراعي نتيجة لارتفاع نسبة الملوحة في التربة وبالتالي انخفاض انتاجيتها ، ومع ذلك فأن عملية التدوين لم تشمل جميع مفردات الحياة السومرية [٣] . ومنها هذه الانتقالات التي ربما شملت منطقة الدراسة . ان الاشارة الى الاستقرار في منطقة الدراسة يرتبط على نحو رئيسي بالاكديين الذين مثلوا المجموعات السكانية التي هاجرت في الالف التاسع قبل الميلاد من شبه الجزيرة العربية ، الى المنطقة بسبب الجفاف الذي اصابها بعد دورة جليدية شهدها العالم في تاريخيه القديم ، وهي دورة جليد (ورم) الرابعة والاخيرة ، التي من نتائجها التحول الى الزراعة المروية من القسم الاخير من هذه الدورة ، أي خلال العشرة الاف سنة الاخيرة قبل حلول الجفاف ، الذي اكسب السكان خبرة فنية في الزراعة التي تعتمد على اعمال الري ، وهذا يفسر كيف استطاع السكان الذين نزحوا الجزيرة الى وادي الرافدين في ان يستقروا وينشئوا مستوطناتهم الجديدة ، لاسيما مع امتداد نهر الفرات ضمن المنطقة الممتدة بين (عنه وهيت) [٤] ، اذ نتج الخبرات السابقة للمهاجرين ومحاكاتهم للمكان ، انتاج ادوات تساعدهم في استقرارهم لا سيما وان طبيعية ارض الاقليم يتضف بالارتفاع قياساً بمستوى ماء نهر الفرات مما يتطلب الحاجة الى استحداث الية لرفع المياه من نهر الفرات ذي المنسوب المنخفض ، فأبتكروا الناعور وسيلة لذلك ، مستثمرين عامل سرعة جريان المياه في المنطقة اذ ان نهر الفرات يمتاز بشدة انحدار الماء فيه ، فأخذ يستخدم هذا التيار في تدوير اعداد من النواعير التي استخدمت في ارواء الاراضي الزراعية والبساتين ، ولعل هذا ما يفسر استقرار الانسان في هذه المنطقة على ضفتي النهر .

ونظراً لعدم تدوين تواريخ دقيقة لمستوطنات منطقة . الدراسة ، لذا تم ذكر تلك المستوطنات تباعاً ، ابتداءاً من الحدود العراقية – السورية ، والمتمثلة بمدينة القائم حتى اخر مستوطنة مدينة الفلوجة التي تقع في الجزء الشرقي . انظر خارطة رقم (٣) .

خارطة رقم (٣)

توزيع المستقرات البشرية في محافظة الانبار

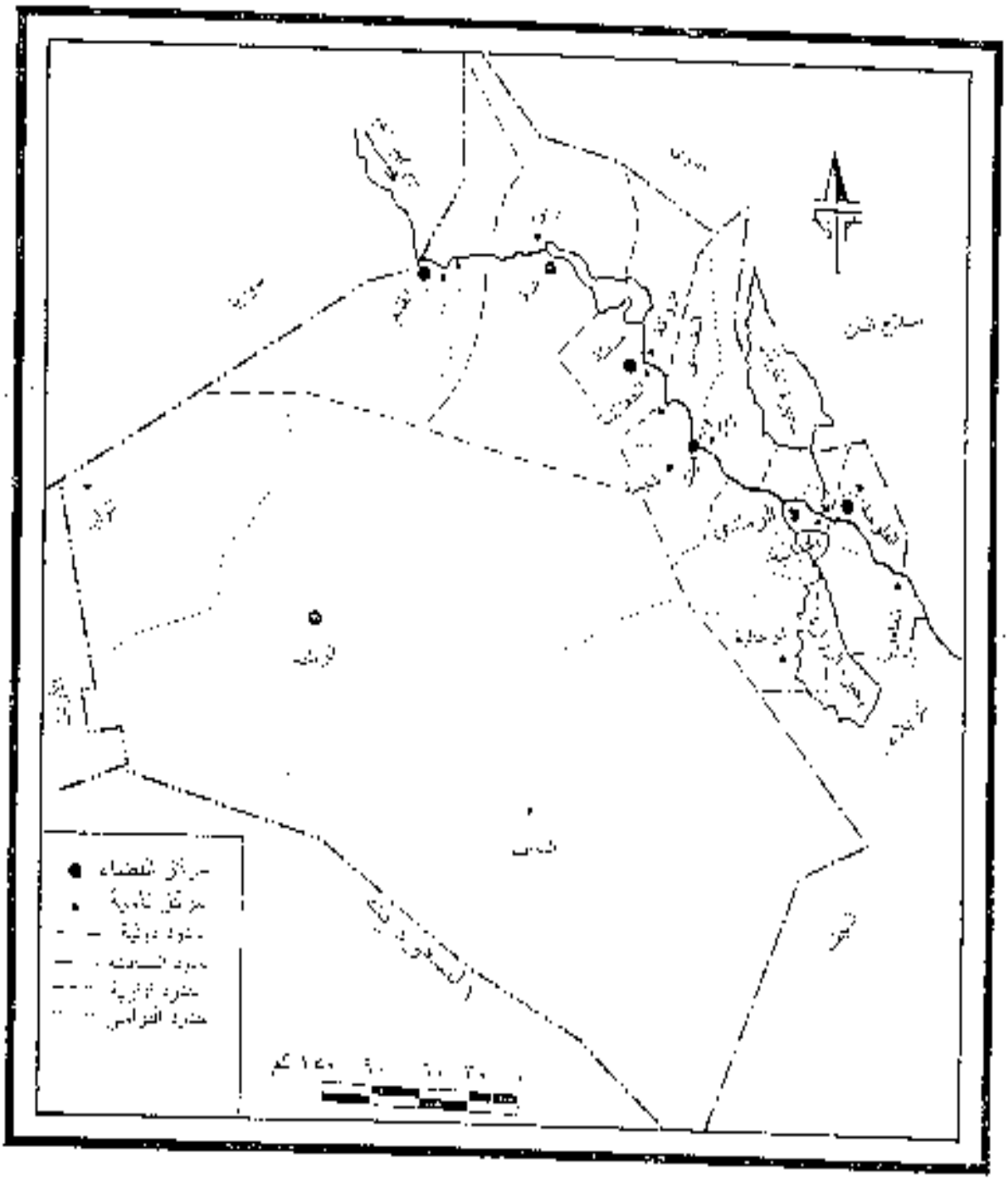

المصدر :- الهيئة العامة للمساحة ، خارطة محافظة الانبار الإدارية ، بغداد ، ١٩٩٨ .

١- القائم :-

ورد اسم القائم في المصادر التاريخية بأسم (دير القائم) ، اذ يروي ياقوت الحموي في معجم البلدان (انما قبل له القائم لان عنده مرقباً عالياً كان بين الروم والفرس يرقب عليه على طرف الحديين (المملكتين) ، والبرج المشار اليه ، انما هو مرقب يرتقي زمنهُ الى حدود القرن الثاني للميلاد ، الذي نشاهد بقاياه الان الى الشمال من بلدة قائم بمسافة بضعة كيلو مترات وكان السبب في تسمية هذا الموضوع بالقائم [٥] . والى شماله هناك موضع اخر اسمه (تل الجابرية) التاريخي ، اما الى جنوبه فقد نشأة موضعين هما الرفضة والناحية ، وتمثل هذه المواضع نقاط رئيسية في الطريق الفراني التارخي المار الى بلاد الشام احتفضت القائم باهميتها الستراتيجية للقطر لا سيما مع فتح طريق بغداد – دمشق ، كمستقرة حدودية بين العراق وسوريا ، سميت بـ(حصيبة) عام ١٩٣٨ ، وقد توسعت تلك الاهمية بعد استحداث (حصيبة) كمركز قضاء القائم عام ١٩٦٨ ، بعدما كانت مركز ناحية تابعة لقضاء عنه [٦] . في حين نشأت عدة مستوطنات حول المواضع القديمة ، اهمها الرمانة والكرابلة والعبيدي التي استحدثت بموجب المرسوم جمهوري المرقم (٦٦١) عام ١٩٦٩ [٧] ، فضلاً عن العبيدي الجديدة التي نشأة بفعل التوطين الصناعي لمعمل الفوسفات في عكاشات اذ تمثل هذه المستقرة مدينة للعاملين في تلك المنشأت الصناعية التي استحوذت على نسبة (١٠.٦ %) من مجموع المنشأت الصناعية في المحافظة عام ١٩٨٧[٨] ، مما خلق بؤرة للتركز الصناعي في المنطقة عملت على جذب اعداد كبيرة من السكان. وتشكل الوحدات الثلاثة الرمانة والكرابلة والعبيدي بمجموعها قضاء القائم حالياً .

٢- عنه :-

هي من المدن العريقة الموغلة في التاريخ القديم ، اذ يعود نشأتها الى النصف الاول من الالف الثالث (ق.م) بعدما استوطنها الاموريين ، حيث شيدت في جزيرة وسط الفرات واحيطت بقلاع فكانت بمثابة قاعدة عسكرية لهم عرفت بأسم (خاني) وقد ورد هذه المدينة في المصادر البابلية والاشورية بهيئة عاناه (a-na-at) . ومثلت خلال السيطرة الاشورية مركزاً عرف بأسم (سوخي) الذي يمتد اطاره المكاني الى المنطقة الواقعة على ضفاف نهر الفرات حتى نهر الخابور في سوريا [٩] . الا ان ثقلها الاداري والسياسي قد تلاشي حتى عهد الخلافة الراشدة اذ تم افتتاحها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) عام (٢١هـ / ٦٠١ م) ، لتمثل مقراً للجيوش الإسلامية المتجهة صوب الهلال الخطيب [١٠] . وعندما سيطرت الدولة العثمانية على العراق . الحقت اداريا بولاية بغداد في حين اصبحت مركز قضاء عام ١٩٢٢ [١١] ، تتبعها ناحية راوة التي تقع الى الضفة اليسرى من نهر الفرات . وقد تغير موضع مدينة عنه عام ١٩٨٦ بسبب

انشاء سد حديثة الذي ادى الى اغراقها ، الى جانب انغمار ٩٠ مستوطنة ريفية ، تنتشر على مسافة ٣٧٠ كم^{٢} من الاراضي الخصبة . مما ادى الى تحول مدينة عنه الى موضع جديد يبعد ١٧ كم عن الموضع القديم وانشاء عشرة مستوطنات ريفية حول سد حديثة .

٣- حديثة :-

تقع حديثة الى الجنوب من مدينة عنه بمسافة ٧٥ كم وهي احدى المستوطنات التي كانت اسمها (حديدانو) خلال عهد مملكة (سوخي) الارامية (عام ق.م) . وفي القرن السادس الميلادي استوطنها السريان فسموها حدنا ، حدثا) التي تعني المدينة المجددة او الحديثة ، وقد شاع اسمها بـ (حديثة) من قبل السكان العرب الذين استقروا بين الحيرة و تخوم بلاد الشام ، حيث اطلقوا اسماء عربية على بعض المدن القديمة او اسماء مقاربة الى اسمائها الاصلية ، لذلك فان حديثة (حديدانو) التي تبدلت الى (حدنا وحدثا) في زمن الاراميين والسريان من بعدهم تحولت الى حديثة [١٢] . وتميزاً عن(حديثة الموصل) فند سميت بـ(حديثة النورة) لكونها مشيدة بالحجارة والنورة ، التي تمثل مادة بناء صلبة ومتماسكة لها القابلية على مقاومة مختلف الظروف الجوية ، كما انها تزداد صلابة وقوة عندما تعرض الى ماء النهر . انظمت حديثة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى الدولة الاسلامية فكانت محطة استراحة للجيوش الاسلامية قبل المغادرة الى عنه ثم الى بلاد الشام . واصبحت حديثة قضاء عام ١٩٦٥ بعدما كانت ناحية تابعة ادارياً الى عنه قبل ذلك التاريخ [١٣] .

لقد كان لانشاء سد حديثة عام ١٩٨٦ اثراً كبيراً في زيادة ، الاهميه الاقليمية لمدينة حديثة بالنسبة لاقليم اعالي الفرات وذلك من خلال ماوفره السد من فرص عمل جديدة فضلاً عن توليد الطاقة الكهربائية واعتماد بعض السكان على صيد الاسماك ، فارتفعت وتاثر نموها السكاني من خلال الهجرة اليها ، خاصةً السكان المتضررين من انشاء السد ، وعلى النحو الذي ادى الى تدعيم الاستقرار وتوسيعة في هذه المستوطنة .

٤- الوس :-

تقع الى الجنوب من مدينة حديثة التي بناها الساسانيون في عهد شابور ذو الاكتاف (٣٠٩ م – ٣٧٩ م) وذلك لصد البدو عن سواد العراق او السهل الرسوبي ، خاصة وان الساسانيون كانوا شعباً دخلوا في حروب عدة وتطلب وضعهم العسكري اقامة لقلاع الحربية والمعسكرات ومنها الوس [١٤] .

٥- هيت :-

ومن المستقرات الموغلة في القدم مدينة (هيت) ، اذ تشير بعض المصادر التاريخية ، الى ان نوح عليه السلام قد طلى تابوته بالقار المأخوذ من مدينة (هيت) ، اذ لم يكن القير موجوداً في ارض العراق ، سوى في موضعين هما هيت ونينوى ، وكانت هيت اقرب الى سيدنا نوح (عليه السلام) من الثانية [١٥] .ورد اسم هيت في عهد السومرين بأسم (دو دول) وتعني أبار شاطى النهر إشارةً الى ابار القير الطبيعية . وهناك الكثير من الدلائل والقرائن التي تؤكد ارتباط اسم مستوطنات هيت وتاريخها بمادة القير وذات الاهمية الكبيرة للبناء ، خلال المراحل الاولى للاستقرار البشري في وادي الرافدين ، حيث يتم نقله من هيت الى المدن السومرية في الجنوب من العراق عن طريق نهر الفرات بطرق مختلفة [١٦] . الذي ادى الى تطور وسائط النقل النهري وصناعتها متمثلة بالسفينة السومرية التي تشبه (العسبة الفراتية) او (القاية) ، اذ تصنع من مواد محلية (اخشاب واغصان مجذولة من صفصاف وبنات الحلفاء مطلاةً بالقار ثم نملأ بهدة المادة) ، تصنع عادة في هيت ، حيث تتوافر مادة القير وتسير في نهر الفرات مع المجرى فقط لحجمها الضخم وثقلها . وتستعمل السفينة في نقل الاحمال الثقيلة فضلاً عن القير ، ثم تفسخ بعد وصولها الى الجهة التي تستهدفها ، وتباع موادها واهمها القير مع القير الذي تحمله [١٧] . فضلاً عن ذلك فأن موقع هيت كنقطة رئيسية لطرق القوافل القديمة ، سواء بأتجاه مملكة ماري في سوريا (طريق بغداد – الرقة) او الى بلاد الشام عبر الصحراء من خلال المرور بقصر الخباز الذي يقع بالقرب من كبيسة بمسافة ٥٩ كم ثم قصر العامج وصولاً الى بلاد الشام . وهذا ما اعطاها خصوصية موضعية بجعلها مركزا استقطاب للاستقرار البشري منذ المراحل التاريخية القديمة ، الى جانب النشاط الزراعي الذي مارسهُ السكان الاوائل على امتداد نهر الفرات واستخدامهم للنواعير بصورة خاصة في هذا الموطن . وكانت هيت هدفاً كبيراً اثناء حملة حمورابي الكبرى لتوحيد العراق وذلك لتأمين حركة الجيش في توجهاتها نحو مملكة ماري . وانضوت تحت راية الدولة الاسلامية سنة (١٦هـ) ، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، لكنها تعرضت لهجمات القرامطة ثم المغول . التي ادت الى تدمير اجزاء كبيرة منها وتوجد بالقريب من هيت العديد من المستوطنات ، اهمها المعمورة او العميرة التي تبعد مسافة ٦ كم جنوباً [١٨] . والى شمالها مستوطنة ناووسة التي هي الان البغدادي . اصبحت هيت مركز قضاء بموجب مرسوم جمهوري رقم ٢٤٧ عام ١٩٦٧ ، تتبعها ناحية كبيسة [١٩].

٦- كبيسة :-

تقع الى الجنوب من هيت بمسافة ٢٠ كم . وجذبت جزءاً من سكان الهجرات الجزرية التاريخية الذين استقروا بعيداً عن ضفاف الانهار ، نتيجة لتزاحم اسكان على تلك المناطق الخصبة

الى جانب اعتماد هذا الجزء من المهاجرين على الحياة الرعوية البدوية التي تتشابه مع خصائص منطقة الصحراء العراقية ومنها موضع كبيسة [٢٠] . حيث تمثل احدى المحطات الرئيسية لطرف القوافل الصحراوية التي اشتهرت خلال حكم السلوقين للعراق خلال الفترة (٣١٢ – ١٣٥ ق.م) ، اذ تتفرع منها عدة طرق احداها يذهب الى تدمر في البلاد الشام والاخر يتجه شمالاً الى منطقة ناووسة على الفرات ويصل الى فرقيسة ثم الى سلوقية انطاكية على بحر الروم (البحر المتوسط) . بذلك قامت عدة قرى على بعض عيون ماء كبيسة ، تجمع سكان كل واحدة روابط قد تكون روابط قبلية او دينية ، والى ذلك يشير ياقوت الحموي في معجم البلدان (ان كبيسة تصغير كبسة عين في طرف برية البادية على اربعة اميال من هيت منها تسلك البرية وهناك عدة قرى [٢١] . تمثل كبيسة الان ناحية تابعة لقضاء هيت . وقد ساهم في دفع عملية الاستقرار في هذه المستقرة ، انشاء معمل سمنت كبيسة ، الذي اتاح فرص عمل جديدة لسكانها .

٧– تل اسود :–

والى الشمال من مدينة الرمادي بمسافة (٢٥) كم ، هناك اثار قرية تعرف بأسم (تل اسود) على شكل تل مرتفع يبلغ طوله نحو (٣٠٠ م) وعرضه (٢٠٠ م) وبأرتفاع نحو (٣٧ م) توجد فيه بقايا معبد احدى المستوطنات الرئيسة اثناء امتداد الحكم السومري الى مشارف هيت قبل دخول الاكد بين ارض العراق ، واستيلائهم على المنطقة الممتدة بين هيت وعنه [٢٢] .

٨– الرمادي :–

من المستوطنات الحديثة في منطقة الدراسة ، التي نشأت على موضع تلي على الضفة اليمنى لنهر الفرات لذا كانت تسمى (العلوة او القلعة) نسبة الى خاصية الارتفاع ، ثم تل الرماد لكون الموضع الاول الذي كان يستخدم من قبل المسافرين لطهي الطعام والراحة ، وثم تطورت الى الرمادي . تم تمصير المدينة عام ١٨٩٦ اثناء حكم الوالي العثماني مدحت باشا ، بغرض السيطرة على عشائر الدليم تحت سلطة مركزية الى جانب ربط العديد من المستوطنات الاخرى بها [٢٣] . وعلى الرغم من اهمالها بعد ذلك الا انها عادت وتوسعت بعد عام ١٩٢٣ ، نتيجة لفتح طريق (بغداد – دمشق) ، الذي مثلت المدينة محطة رئيسية في طريقة ، فآنعكس ايجابياً على البناء العمراني والوظيفي للمدينة ، اذا ادى الى ازدياد ، الطلب على الجوانب الخدمية للمسافرين واتاحتها لفرص عمل ، دفعت باعداد من سكان الارياف الى الاستقرار فيها . ويمثل عام ١٩٥٨ بداية النمو الحقيقي لهذه المستوطنة عندما تم اتخاذها مركزاً (للواء الدليم) [٢٤] ، فضاعف من حجم المؤسسات الخدمية والتجارية فأصبحت منطقة جذب رئيسة للسكان من مختلف المناطق . ولقد

اضاف انشاء معمل الزجاج والسيراميك في المدينة الذي باشر في الانتاج عام ١٩٧١ مركزية و استقطاب اكبر لهذه المستوطنة .

٩- الحبانية :-

شهدت هذه المدينة بداية لنمو تجمع سكان عندما تم بناء قاعدة عسكرية فيها اثناء الاحتلال البريطاني ، فجذبت اعداد من سكان الارياف المجاورة للعمل فيها بمستويات دخل اعلى من دخل القطاع الزراعي . وقد ادت الحاجة الى الاستقرار في موضع قريب من موقع العمل الى بروز مستوطنة جديدة في الاربعينيات بأسم الخالدية التي اصبحت مركزاً لناحية الحبانية عام ١٩٦٢ ، تابعة لمركز قضاء الرمادي [٢٥] . وقد نمت بفعل عامل الهجرة من الارياف المجاورة ، نتيجة للفيضاتات التي تعرضت لها عام ١٩٦٧ وترحيل السكان المدنيين من معسكر الحبانية عام ١٩٧٢ واستقرار جزء من الكرد المرحلين فيها عام ١٩٧٥ .

١٠- الفلوجة :-

تقع على الضفة اليسرى للفرات وقد ورد اسمها في المصادر المسمارية بصيغة (بلوكتو) وفي المصادر الارامية بأسم (بلوكثا) . وكانت تتفرع من نهر الفرات عند الفلوجة ثلاثة انهر رئيسية ، هي نهر عيسى وصرصر والملك . اما الاول فيتفرع من الضفة اليمنى لنهر الفرات في حين يتفرع الاخريين من الضفة اليسرى لنهر الفرات وهذا اما ادى الى تشكيل بيئة خصبة استغلت من قبل السكان فنشأت فيها مجموعة من المستوطنات على شكل قوى تحمل اسماء مثل جهفة وتل الرمث وتل عداي . ويرجع تاريخ هذه المنطقة الى عصور قديمة ، اذ ينتشر فيها (٨٣) تلاً موقعاً اثرياً ، لفترات ما بين العصر الكيشي والعصر الاشوري والبابلي الحديث ، والعصر الاسلامي . ولم تكن فلوجة سوى قرية صغيرة في العصر العثماني [٢٦] . لتصبح مركزاً للقضاء عام ١٩٢٦ ومما زاد من دورها الوظيفي انها على مسافة ليست بعيدة عن العاصمة بغداد ، وهذا ما هيأت السبيل لها لتصبح مركزاً رئيساً للتجارة خلال المراحل اللاحقة ، الى جانب دورها الصناعي ، نظراً لما تتمع به من موقع جغرافي ولتوفر المواد الاولية ، فقد تم انشاء معمل سمنت الفلوجة مع مجموعة من الصناعات الانشائية الاخرى لتستحوذ على نسبة (٤٣%) من مجموع المنشأت الصناعية في المحافظة عام ١٩٨٧ [٢٧] . ولتصبح على اثر ذلك مركز استقطاب رئيسي للسكان في المحافظة ومحوراً تنموياً لأقليم الصناعي في بغداد .

١١- الصقلاوية :-

الى شمال مدينة الفلوجة بمسافة ٣٠ كم تقع ناحية تمثل مستوطنة الصقلاوية مركزها الحضري الرئيس منذ عام ١٩٦٨ التي نشأت في البداية كقرية زراعية صغيرة اخذت تسميتها من جدول ارواء الصقلاوية الذي يتفرع من نهر الفرات بأتجاه نهر دجلة .

١٢- الكَرمة :-

تقع الى الشمال الشرقي من مدينة الفلوجة ويرجع تاريخها الى العصور البابلية وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى نهر الكرمة الذي يربط نهر الفرات بنهر دجلة ، وتحولت الى مركزنا بموجب الادارة ملكيه عام ١٩٢٦[٢٨] .

١٢- العامرية :-

ترجع تسميتها الى قبيلة المعامرة ، التي كانت تستوطن المنطقة في حدود عام (١٧٥٠ م) ، وكانت احدى محطات القوافل الرئيسية بين تل جوخة ومستوطن سبار (ابو حية) في الجنوب . وقد تلاشت اهميتها خلال احتلال الفرثين للعراق [٢٩] . والا انها تمت مرة اخرى خلال عقد السبعينات من القرن الماضي ، لكونها احدى المواقع الصناعية الرئيسية ضمن الاقليم الصناعي لمدينة الفلوجة . وتشكل النواحي الثلاثة (الصقلاوية ، الكرمة ، العامرية) قضاء الفلوجة .

١٣- الانبار :-

تقع على مسافة ٥ كم شمال غرب الفلوجة ، تعود الى فترة حكم الساسانيين للعراق ، وكانت تدعى بأسم فيروز سايور على اسم مؤسسها الملك سايور (٤٢١م – ٢٧٢م) ، ودعيت بـ (الانبار) في القرن السادس للميلاد لكون قلعتها اصبحت مخزناً واسعاً للحبوب في عهد الساسانيين ، اذ تعني كلمة (عنبار) المكان الذي تخزن فيه الحبوب ، وهي كلمة ذات اصل ساساتي [٣٠] . مثلت هذه المستوطنة المركز السياسي الرئيسي خلال حكم العباسيين ، اذ اتخذها الخليفة ابو العباس السفاح (١٣٢هـ) عاصمة له وسماها (الهاشمية) نسبة الى (الهاشمية) التي شيدها في الطرف الغربي من الكوفة ، قبل انتقالهُ الى الموضع الجديد ، وبقي فيها ابو العباس حتى توفي سنة (١٣٦هـ) . كما قام فيها ابو جعفر المنصور اول ولايته الخلافة ، الا ان موقعها العسكري الامامي يجعلها معرضة للهجمات المباغته من الشمال والشمال الغربي ، كما ان احاطتها بالمرتفعات في اطرافها الذي قد يحد من توسعها ومن مساحة الاراضي المزروعة حولها ، فضلا عن قدم ابنيتها وسكانها المكونيين من خليط من القبائل يجعلها لا تناسب في ان تكون قاعدة لخلافة يمتد سلطانها على كل اقاليم الدولة الاسلامية الواسعة انذاك ، وهذا ما حدى بالخليفة ابو جعفر المنصور بالبحث عن مكان اخر ينشئ فيه مقراً لخلافته فأختار بغداد . وقد دمرت سنة (٣١٥ هـ – ٩٢٧ م) من قبل القرامطة ، ثم نهبتها المغول عام (١٢٦٢م) ، وقتلوا الكثير من

سكانها [٣١] . واحياءاً لاسمها التراثي القديم فقد اطلق اسم هذا الموضع على كل منطقة الدراسة (محافظة الانبار) ، وذلك بموجب مرسوم جمهوري منذ عام ١٩٧٠ ، بعدما كانت تسمى (لواء الرمادي عام ١٩٥٨) نسبة الى مركزاً اللواء [٣٢] .

١٤- الرطبة :-

سعياً من الحكومة الوطنية لتحقيق الاستقرار لسكان البدو في الهضبة الغربية وتثبيت حدود العراق السياسية مع الدول الجوار الجغرافي ، نشأت مجموعة من المستقرات التي كانت تمثل مراكز للشرطة والكمارك الحدودية في بادئ الامر ، وفي مقدمتها مدينة الرطبة التي نشأت عام ١٩٢٦ عند الحدود العراقية من جهة الغرب ثم تطورت فيما بعد الى مدينة صغيرة نتيجة لتجمع السكان فيها مع توافر الخدمات المجتمعية لها ، لتصبح بموجب مرسوم جمهوري عام ١٩٥٩ مركزاً للقضاء [٣٣] .ونتيجة للظروف الاقليمية والدولية التي كانت تحيط بالعراق خلال العقدين الاخريين من القرن الماضي ، اصبحت محطة اتصال رئيسية للقطر مع العالم الخارجي ، من خلال موقعها الترانسيتي التي تتم من خلالها عمليات التبادل التجاري ، والذي انعكس على اهمية هذه المستقرة وتطورها . وتتبع مركز قضاء الرطبة ناحيتي النخيب والوليد اللتان تقعان الى الغرب من الرطبة بمسافة (١٨٠ كم) و (١٤٠ كم) على التوالي ، اذ تعتمد الاولى على النشاط الرعوي ، في حين استحدثت الثانية بفعل عوامل عسكرية . ولم تفعل ها تين الناحيتين من البنية الوظيفية او الاستيطانية لمركز قضاء الرطبة نتيجة لبعد المسافة الذي انعكس على ضعف العلاقات الاقليمية بينها ، مما يشير الى ان ذلك الارتباط كان الاغراض التنظيم الاداري .

ويمثل انشاء خطوط سكك الحديدية بغداد – الرمادي – القائم في المحافظة ، اثراً في ظهور تجمعات سكانية جديدة في منطقة الدراسة ابتداءاً من مجمع سكن الفلوجة شرقاً وحتى مجمع عكاشات غرباً . حيث بلغت عددها ٢٦ مجمعاً سكنياً يمتد مع امتداد السكك الحديدية خارطة رقم (٤) وتظم ١٤٠وحدة سكنية جذبة أعداد كبيرة من السكان الوافدين على شكل اسر كاملة ، سواء من داخل المحافظة أو من خارجها ، ولاسيما وان هذا المشروع التنموي قد اتاحت الكثير من فرص العمل الامر الذي ادى الى استقرار السكان وبروز نمط جديد من المستقرات البشرية في المحافظة .

خارطة رقم (٤)

التوزيع الجغرافي للتجمعات السكانية التي تمتد مع امتداد خط سكك حديد بغداد – الرمادي – القائم

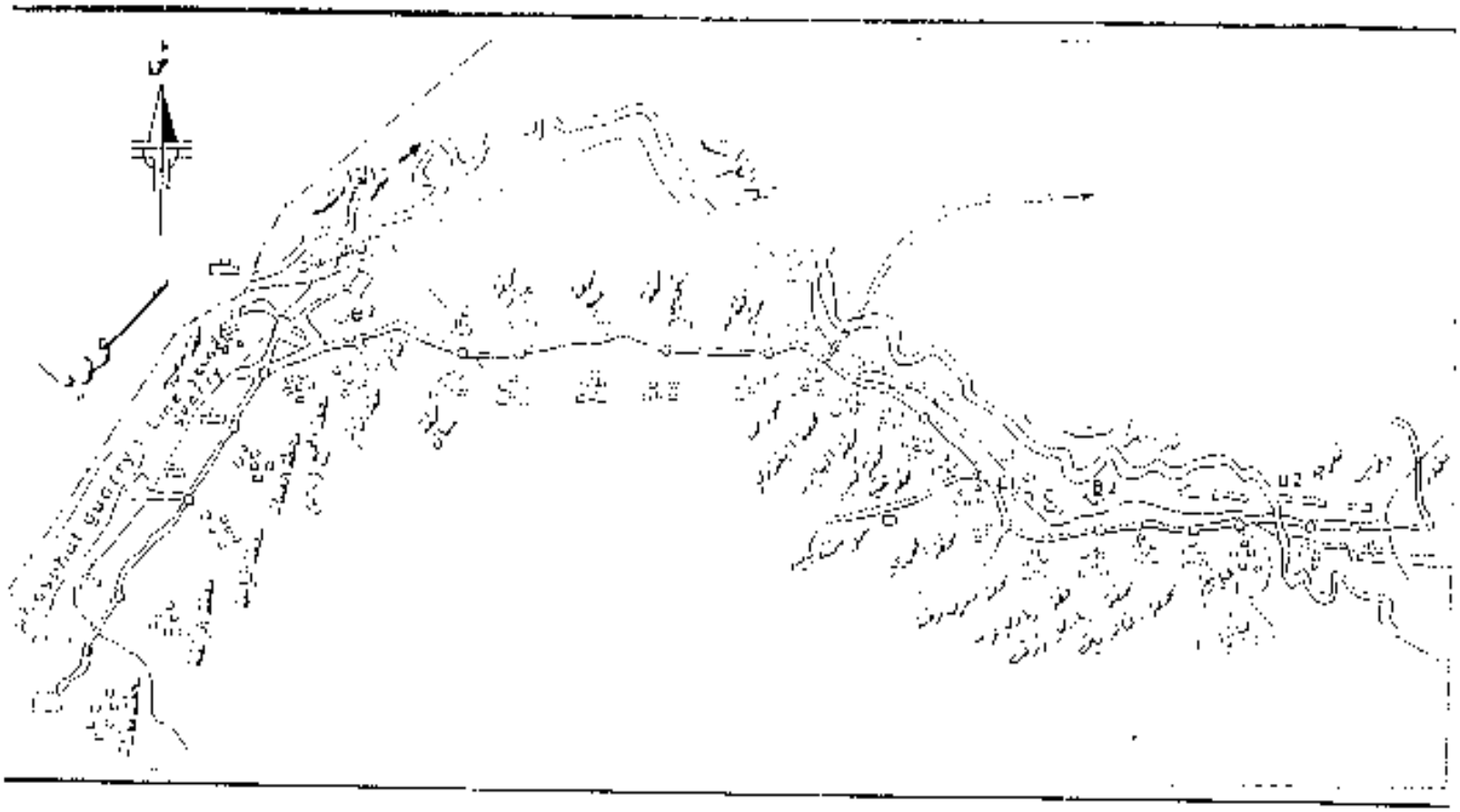

Republic Of Iraq republic rail ways; Baghdad Al-Qalm Akashat, Rail way project, Rites.

ثالثاً : تفاعل العوامل التاريخية في تشكيل صورة الانماط المكانية للمستقرات البشرية في منطقة الدراسة :-

ان صورة توزيع المستقرات البشرية في منطقة الدراسة ، لم تختلف كثيراً عما كانت عليه خلال المراحل الاولى للاستقرار . بأستثناء تغير موضع مدينة (عنه) بسبب انشاء سد حديثة ، الى جانب ظهور التجمعات السكانية المرتبطة لسكه حديد بغداد – عكاشات ، ويعود ذلك الى طبيعة الهضبة التي تشكل معظم سطح المحافظة ، بأستثناء وادي الفرات والاراضي السهلية من حولهُ ، التي تكاد تشرف في مواضع كثيرة على النهر مباشرةً او قد تترك بينها وبين النهر من الارض المنبسطة بضع امتار ، والتي انعكست على النشاط الزراعي الذي يمثل الحرفة الرئيسية للحضارات الاولى ومناطق الاستقرار ، ومنها منطقة الدراسة . ومن الجدول رقم (١) والخارطة رقم (٥) يمكن تميز ثلاثة انماط رئيسية للاستقرار البشري من محافظة الانبار :

١- نمط التوزيع الخطي :-

يظهر هذا النمط ابتداءاً من القائم حتى الرمادي ، اذ كان لنهر الفرات والسهل الضيق الذي يحف بجانبية ، ابتداء من دخوله الحدود العراقية السورية وحتى شمال مدينة الرمادي بـ(٢٦) كم ، الدور الاساسي في ظهر هذا النمط ، ويرجع سبب ذلك الى ان الهضبة ومنطقة الجزيرة تشكل معظم مساحة المحافظة ، كما ان تربتها تتصف بعدم جودتها وملائمتها للاستثمار الزراعي في معظم مناطقها ، بأستثناء الاراضي السهلية التي تحيط بوادي نهر الفرات الى جانب ما تتصف به المحافظة من مناخ صحراوي جاف دفع المستوطن الاول الى الاستقرار على امتداد هذه الرقعة ، فمثلت المنطقة الممتدة بين (هيت وعنه) البؤرة الاولى للأكدين كما تم الاشارة ، ثم تطورت احجام تلك المستقرات بفعل الزيادة الطبيعية والميكانكية لسكانها ، دون ان تغير من موضعها الاول التي نشأت عليه ، ولا يقتصر التوزيع الخطي على امتداد وادي الفرات فحسب ، بل يظهر ايضاً على امتداد سكك حديد (بغداد – القائم – عكاشات) ابتداءاً من مجمع سكن الفلوجة شرقاً وحتى مجمع عكاشات غرباً ، وقد توزعت تلك المجمعات السكنية بشكل منتظم وبمسافات متقاربة تمثل نموذجاً لتوزيع المجمعات السكنية الحديثة التي تشغل جزءاً من الجهة الشمالية من المحافظة وتبلغ المواقع التي تنظم بهذا النمط (١٦) مركزاً حضرياً و (٢٦٦) قرية لعام ١٩٩٧ مشكلين نسبة (٨٠%) و (٩٣%) من مجموع المراكز الحضرية والقرى على التوالي في محافظة الانبار ، وقد توزعت هذه المراكز الحضرية والقرى على كل من اقضية القائم وعنه وحديثة وهيت جدول رقم (١) .

جدول رقم (١)التوزيع البيئي للسكان وإعداد المراكز الحضرية والقرى في محافظة الانبار لعام ١٩٩٧ .

ت	الوحدات الإدارية	سكان حضر	سكان الريف	مجموع السكان	عدد المراكز الحضرية	عدد القرى
١.	م.ق. الفلوجة	١٣٥٨٢٢	٤٣٥٥٩	١٩٧٣٨١	١	١١
٢.	ث الكرمة	٨٠٩٠	٧٥١٦٨	٨٣٢٥٨	١	٢٧
٣.	ن العامرية	٣٩٣١	٢٦٢٣٢	٣٠١٦٣	١	٢٣
٤.	ن الصقلاوية	١٤٥٨	٥١٤٣٠	٥٢٨٨٨	١	٢٠
٥.	م.ق. الرمادي	١٦٣٢٠٦	١٢٦٣٣٦	٢٨٩٥٤٢	١	٣١
٦.	ن الحبانية	٢٩٥٢٤	٥٤٨٢٠	٨٤٣٤٤	١	١٥
٧.	م.ق. هيت	٣٧٤٩٩	٤١٥٣٣	٧٩٠٣٢	١	٣٤
٨.	ن كبيسة	٨٩٥١	١٣٣١	١٠٢٨٢	١	٢٥
٩.	م.ق. حديثة	٣٦٢٠٤	٦٧٧٨	٤٢٩٨٢	١	٤
١٠.	ن بروانه	٧٨٣٠	٤١٠١	١١٩٣١	١	١٣
١١.	م.ق. عنه	٩٩٣٧	٥٠١٨	١٤٩٥٥	١	١٢
١٢.	ن راوه	٨٤٤١	٣٦٩٩	١٢١٤٠	١	١٥
١٣.	م.ق. القائم	٤٧٢٧٦	٢٧٥٩٠	٧٤٨٦٦	١	٢٣
١٤.	ن العبيدي	١٠٧٢١	٩٤٣٦	٢٠١٥٧	١	١٤
١٥.	م.ق. الرطبة	١٣٨٠٢	١٧٦٥	١٥٥٦٧	١	٢
١٦.	ن الوليد	١٨٧	٥٩	٢٤٦	١	٢
١٧.	ن النخيب	٣٣٩	٦٢٢	٩٦١	١	٢
١٨.	المحافظة	٥٤١٢١٨	٤٧٩٤٧٧	١٠٢٠٦٩٥	١٧	٢٧٨

المصدر :- هيئة التخطيط ، نتائج التعداد السكاني لمحافظة الانبار لعام ١٩٩٧ ، بيانات غير منشورة .

خارطة رقم (٥)

توزيع سكان محافظة الانبار (حضر – ريف) لعام ١٩٩٧

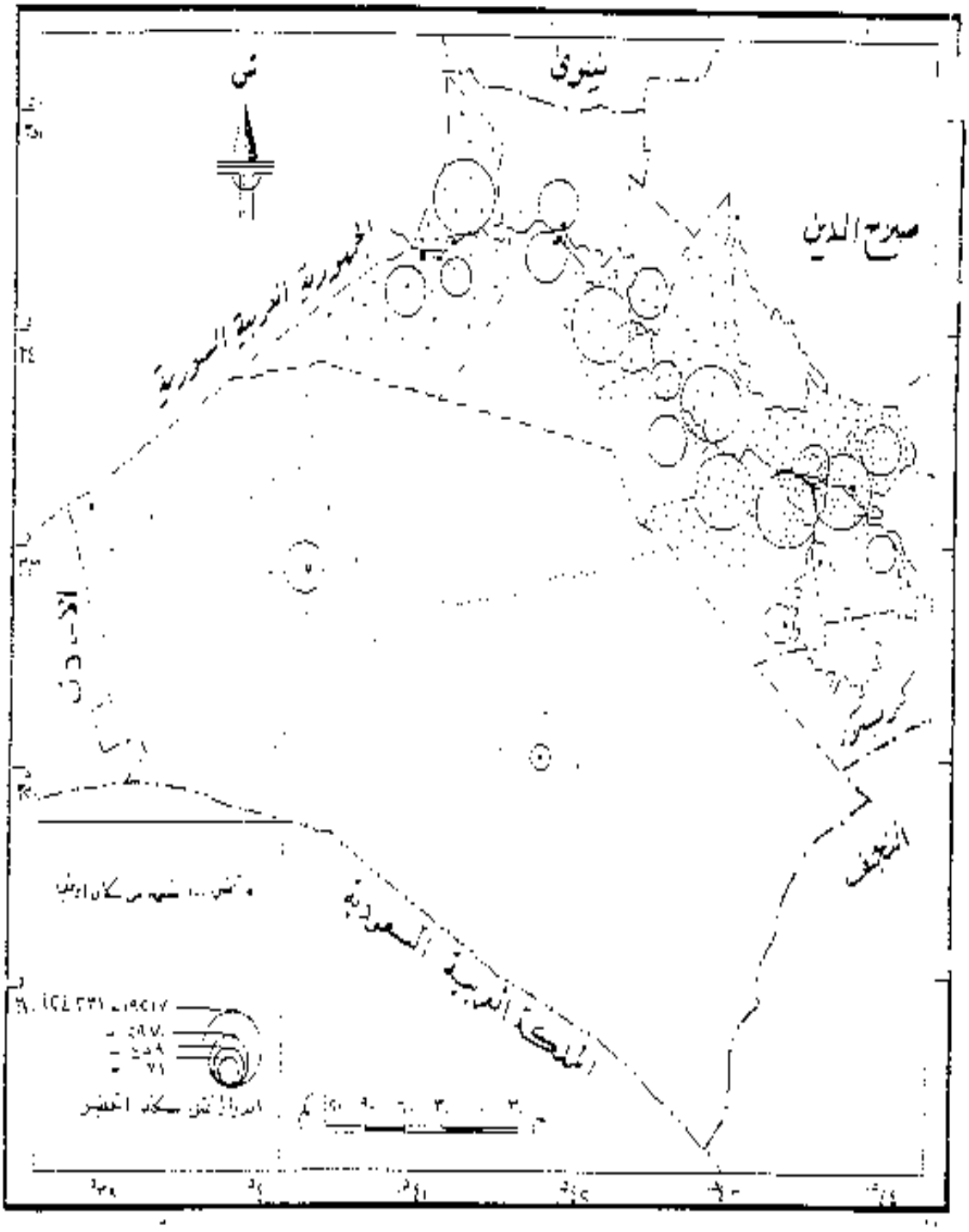

المصدر :- عمل الباحث اعتماداً على جدول رقم (١) .

٢- نمط التوزيع المتجمع :

تظهر المراكز الاستيطانية على نمو مقارب مع بعضها بشكل مجموعات على رقعة جغرافية واحدة لا يختلف عوامل الاستقرار التاريخي ضمن هذه المجموعات ، اذ كان للمياه السطحية الجارية المتمثلة في نهر الفرات وجدول الصقلاوية وفروعة العديدة مع سعة الاراضي الزراعية اثراً بارزاً في ظهور هذا النمط وهذا ما نلاحظه جلياً في المنطقة المحصورة بين منطقة تل الاسود (٢٥) كم شمال الرمادي وحتى الحدود الادارية مع مدينة بغداد .

٣- نمط التوزيع المتباعد (المبعثر) :

يسود هذا النمط ، منطقة الهضبة الغربية ، ، التي تشكل مساحة واسعة من منطقة الدراسة . حيث نمت المراكز الاستيطانية في المساحات التي تتوافر فيها بعض الإمكانات الطبيعية على شكل آبار وعيون ، فضلاً عن مقالع الحجر والقار ومقالع الرمل . الامر الذي ادى الى ظهور العديد من المستقرات . مثل مركز قضاء الرطبة ونواحي الوليد والنخيب والرحالية وكبيسة . وقد ضم هذا النمط (٥) مراكز حضرية و (٢٠) قرية عام ١٩٩٧ ، مشكلةً نسبة (١٨%) و(٤%) من المراكز الحضرية والقرى في المحافظة للعام نفسه.جدول رقم (١) .

الخلاصة والتوصيات

مثلت منطقة الدراسة مسرحاً رئيساً ، لهجرات الساميين ابتداء من الالف التاسع قبل الميلاد ، ويعود ذلك الى البنية الاقتصادية للسكان المهاجرين من حيث النشاط و التوجه ، اذ كانت مناطق وادي الرفدين بديلاً لها ، و خصوصاً الاراضي المحاذية لنهر الفرات . وعلى نحو تشكلت مستقراتها بين (عنه وهيت) النموذج الامثل ثم اخذت تنتشر شمال وجنوب هذا الاقليم . وقد اكسبها الموقع الجغرافي على طريق القوافل القراني (بغداد – الرقة) بأتجاه بلاد الشام ثم حركة الجيوش الخارجة والداخلة من والى العراق وبلاد الشام مما استدعى اتخاذ العديد من مستقراته مراكز لتحصين الجيوش وبناء القلاع التي دفعت لاحقاً الى جذب العديد من السكان . اذ نمت تلك المستقرات خلال مراحل تاريخية متعاقبة ، بفعل الزيادة الطبيعية او الميكانيكية للسكان ، وما رافق ذلك من مشاريع تنموية ، عملت على تطوير تلك المستقرات دون ان تغير من مواضعها التي نشأت عليها تاريخياً ، باستثناء مدينة (عنه) نتيجة لانشاء سد حديثة ، الذي ادى الى اغراقها ، في حين تمثل التجمعات السكانية الحديثة ظاهرة استيطانية جديدة في منطقة الدراسة / ظهرت بفعل امتداد سكك حديد بغداد – رمادي – القائم / والتي ضمت (٢٥) تجمعاً سكنياً . مما امكن تميز اقليمين / احدهما ماهول بالسكان الذي يتمثل بوادي نهر الفرات / والاخر غير ماهول بالسكان يشمل اقليم الهضبة مما يؤشر ثبات هذه الخصائص منذ التاريخ القديم ، ويقود الى كشف حقيقة استمرار ذات العوامل الاساسية في رسم نمط التوزيع الجغرافي للسكان ، وهذا ما يؤكد

افتراض البحث . وعليه نعتقدا انه لابد من ايجاد إلية جديدة تقود الى رسم سياسية سكانية جديدة لمنطقة الدراسة تعمل على تحقيق الاستخدام الامثل للموارد البشرية التي تعد العنصر الاهم في السياسيات التنموية من خلال تفعيل استثمار الموارد الارضية في منطقة الدراسة ، بما يحقق التنمية الناجحة .

المصادر

١. د. احمد سوسة ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية ، الجزء الأول ، ١٩٨٦ ، ص١٠٩ .
٢. د. سعدي علي غالب ، القوافل التجارية في محافظة الانبار ، المؤتمر العلمي الأول لجامعة الانبار ١٩٩٢ ، ص٣-٤ .
٣. سيتون لويد ، اثار بلاد الرافدين ، ترجمة د. سامي سعيد الأحمد ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص١٦ .
٤. د. احمد سوسة ، المصدر السابق ، ص٤٠٧ .
٥. طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد الى موطن الأثار والحضارة ، الرحلة الاولى ، ١٩٦٢ ، ص٥ .
٦. جمهورية العراق ، الدليل الأداري للمحافظات ، محافظة الانبار ، الجزء الاول ، ١٩٩٠ ، ص٣١٩ .
٧. الدليل الأداري ، المصدر نفسه ، ص٤٣٠ .
٨. ابراهيم قاسم درويش البالاني ، تغير القوى العاملة الزراعية في محافظة الانبار للمدة (١٩٧٧ – ١٩٩٧) ، رسالة ماجستير ، (غ.م) ، كلية التربية ، جامعة الانبار ، ٢٠٠٠ ، ص١٠٧ .
٩. طه باقر ، من تراثنا اللغوي القديم ، المجمع العلمي العراقي ، ط١ ، بغداد ١٩٨٠ ، ص١٨٦ .
١٠. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الاول ص٢٥٣ .
١١. الدليل الأداري ، المصدر المسابق ، ص٤١٦ .
١٢. جمال بابان ، اصول اسماء المدن و المواقع العراقية ، الجزء الاول ، مطبعة الأجيال بغداد ، ١٩٨٩ ، ص١٩٨ .
١٣. فرحان الحديثي ، تاريخ حديثة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص١٢ .
١٤. علي عبد الحسين الخطيب ، تاريخ الانبار ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص٤٩ .

١٥. صالح فليح حسن الهيتي ، طريق القير الى بابل ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العد ٢٣ ، ١٩٨٩ ، ص٨ .
١٦. صالح فليح حسن الهيتي ، المصدر نفسه ، ص٩ .
١٧. احمد سوسة ، مصدر سابق ، ص٤١٨ .
١٨. طه باقر وفؤاد سفر ، مصدر سابق ، ص١٨ .
١٩. الدليل الأداري ، مصدر سابق ، ص٤٠٠ .
٢٠. د. تقي الدباغ واخرون ، العراق في التاريخ ، بغداد ١٩٨٣ ، ص٣٧٤ .
٢١. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر السابق ، ص٢٣٨ .
٢٢. طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد الى موطن الاثار والحضارة ، مصدر السابق ، ص٤ .
٢٣. حسن كشاش عبد ، الوظيفة السكنية لمدينة الرمادي ، رسالة ماجستير ، (غ .م) كلية اداب جامعة بغداد ، ١٩٨٤ ، ص٣٢ .
٢٤. الدليل الاداري ، مصدر السابق ، ص٣٩٨ .
٢٥. جمال بابان ، مصدر سابق ، ص٧٨ .
٢٦. ابراهيم قاسم درويش البالاني، مصدر سابق ، ص٨٢ .
٢٧. دحام حنوش حمد ، الاستيطان الريفي في محافظة الانبار ، رسالة ماجستير (غ.م) ، كلية الأداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٢٦ .
٢٨. دحام حنوش حمد ، المصدر نفسه ، ص٢٨ – ٢٩ .
٢٩. علي عبد الحسين الخطيب ، تاريخ الانبار ، مصدر سابق ، ص١٧ .
٣٠. د. تقي الدين الدباغ واخرون ، مصدر سابق ، ٣٧٨ .
٣١. شاكر محمود عبد المنعم ، الانبار عبر التاريخ ، دليل محافظة الانبار ، ط١ ، ص٩ ، مطبعة الادارة المحلية ، ١٩٧١ ، ص١٩ .
٣٢. شاكر محمود عبد المنعم ، المصدر نفسه ، ص ٣٤ .